آراء روميل فى الحرب

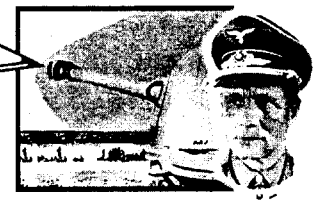

بدءاً من عام ١٩٤٣ ، كان روميل يعتقد وبحق أن ألمانيا قد فقدت المبادأة فى كل ميادين الحرب العالمية الثانية . ومادامت هذه الحقيقة قد تأكدت فمن الضرورى التخلى عن المعارك الهجومية على كل جبهات الحرب بحيث ترتد الجيوش الألمانية إلى خطوط دفاع قوية يصعب أو يستحيل الالتفاف على أجنابها والثبات فيها وتحطيم هجمات العدو عليها وبعد تحطيم هجمات العدو يمكن مطاردة العدو المنسحب وهو فى أضعف حالاته .

هذه هى الفكرة العامة لرأى روميل فى معارك الحرب فى عام ١٩٤٣ . وهى فكرة صحيحة تماما ومستمدة من واقع التجارب الحربية الميدانية التى خاض روميل غمارها .

ولكن مثل هذه الفكرة لم يوافق عليها هتلر أبدا ولم يوافق عليها بقية القادة الألمان القدامى فى رئاسة أركان حرب هتلر الذين ألفوا قيادة المعارك الحربية من مكاتبهم فى برلين وفى روما من قبل .

وبفضل اعتماد الجيوش الألمانية على القوات المدرعة والدبابات والمدفعية المضادة للدبابات والطائرات تمكنت الجيوش الألمانية من إحراز انتصارات باهرة فى بداية الحرب العالمية الثانية ، والآن ، وبعد عامين من بداية هذه الحرب تمكنت بريطانيا وأمريكا من إنتاج كميات كبيرة من الدبابات السميكة الدروع المزودة بمدافع ضخمة بعيدة المدى مع إنتاج أعداد وفيرة من الطائرات ، وبناء على ذلك بدأ ميزان القوى يميل إلى غير صالح الجيوش الألمانية كما تجلى ذلك بوضوح فى معركة العلمين وعلى جبهات القتال الروسية أيضا . حتى روسيا نفسها أدخلت إلى الحرب الدبابة الروسية ت ٣٤ التى كانت مفاجأة الحرب على الجبهة الروسية ولم تستطع المدفعية الألمانية المضادة للدبابات اختراق دروع هذه الدبابة الروسية مما كان له آثاره البعيدة المدى فى قوة دفاع الجيوش الروسية ثم فى تحولها من الدفاع إلى الهجوم على الجيوش الألمانية .

•• نقطة التحول فى موازين القوى :

وكان دخول أمريكا الحرب العالمية الثانية نقطة تحول كبرى فى صالح قوات الحلفاء نظرا للإمكانات الصناعية وللطاقة البشرية وللقدرات الاقتصادية للولايات المتحدة الأمريكية ، وهو ما لم تكن القيادة العليا الألمانية تقدره حق قدره ، ولقد شهدنا جورنج يقول للفيلد مارشال روميل : «إن الأمريكيين لاينتجون إلا أمواس الحلاقة والثلاجات .» ولقد كان جورنج هو النائب الأول للفوهرر الألمانى وهو المستشار الذى كان يؤثر رأيه ويرجحه على كافة الآراء . وكانت الجيوش الألمانية فى مختلف الميادين تقاسى وتعانى من جراء ويلات الحرب بينما كان جورنج يرتدى أفخر الملابس ويقيم أكثر الحفلات فسقا ومجونا فى العاصمة برلين ويحظى بكل ثقة هتلر وتأييده .

وليس أدل على خطورة تدخل الولايات المتحدة الأمريكية فى الحرب العالمية الثانية مما سجله الفيلد مارشال الألمانى «سيجفريد ويستفال» عن الإمدادات العسكرية الأمريكية للجيوش الروسية حتى تتمكن من الصمود أمام الجيوش الألمانية وتشغلها تماما عن جبهات الحرب الأخرى وبيانها كما يلى : (١٧٠٠٠) طائرة – (٥١٠٠٠) سيارة جيب – (٤٠٠٠٠٠) عربة قتال– (١٢٠٠٠) عربة مدرعة – (٨٠٠٠) مدفع مضاد للطائرات – (١٥مليون) زوج أحذية طويل الرقبة – (٣٧٠٠٠٠) إطار سيارة نقل – (٢مليون و٨٠٠٠٠٠) طن فولاذ – (٨٠٠٠٠٠) طن مواد كيماوية لصناعة المفرقعات والقنابل ومختلف أنواع الذخيرة – (٢مليون و ٦٠٠٠٠٠) طن من البترول – (٤مليون و٧٠٠٠٠٠) طن من المواد الغذائية (٨١٠٠٠) طن من المطاط. ومن الواضح أنه بدون هذه الإمدادات الأمريكية للروس لم يكن الروس يستطيعون الثبات فى ستالينجراد ثم التحول من الدفاع إلى الهجوم فى عام ١٩٤٣ مما استنفد بالفعل أكبر حجم من طاقات ألمانيا العسكرية فى مختلف جبهات القتال. ولاشك فى أن معركة العلمين قد تأثرت بشدة من جراء موقف الجيوش الألمانية على جبهات القتال الروسية . ومن هنا على وجه التحديد ومن واقع خبرات الفيلد مارشال روميل فى ميادين القتال الفعلية نبع رأيه فى ضرورة أن تتخلى الجيوش الألمانية عن المعارك الهجومية عموما مع تركيز الجهود فى معارك دفاعية ناجحة فى مواقع استراتيجية يسهل الدفاع عنها .

ولقد أوصى روميل أيضا بضرورة التوسع فى إنتاج المدافع الميدانية الخارقة للدروع وفى هذا الصدد قال روميل بالحرف الواحد فى مذكراته بتاريخ ٦ أغسطس ١٩٤٣ ما يلى : «فى مقابل كل دبابة يمكننا إنتاج عشرة مدافع مضادة للدبابات . ومن الضرورى إعادة تنظيم سرايا المشاة بحيث يكون ضمن أسلحتها عدد أكبر من المدافع المضادة للدبابات ، مدافع رباعية يمكن تحميلها على شاسيهات عربات القتال أو تجرها الخيول فى حالة توافرها . ومن الضرورى فى المعارك الحديثة زيادة قوة نيران أفراد المشاة . إن نجاح المدرعات الألمانية فى بداية الحرب العالمية الثانية يرجع أساسا إلى ضعف المدرعات الفرنسية والبريطانية ولكن قواتهم المدرعة لم تعد الآن ضعيفة ، ومن الضرورى مفاجأتهم بقوة نيران أفراد المشاه بالاعتماد على المدافع المضادة للدبابات بحيث تعود لجنود المشاة أهميتهم كما كان شأنهم فى الماضى» .

وعندما طلب هتلر من روميل التفتيش على الدفاعات الألمانية فى فرنسا عندما أصبحت الجبهة الفرنسية مهددة بهجوم كبيرة يشنُّه عليها الحلفاء ، تنبأ روميل بمكان الهجوم على جنوب فرنسا عند «كاليه» .

وتنبأ روميل أيضا بكيفية هجوم جيوش الحلفاء على جنوب فرنسا كما حدثت بكل دقة وقال روميل : «ستسبق عمليات الإنزال هجمات جوية شديدة مع غلالة كثيفة من نيران المدفعية الطويلة المدى التى تشترك فيها المدمرات والسفن الحربية للحلفاء مع تركيز الغارات الجوية المتلاحقة على عمق الدفاعات الألمانية وطرق الاقتراب من الجبهة فى جنوب فرنسا مع إسقاط قوات محمولة جوا خلف هذه الدفاعات الساحلية الألمانية ثم الهجوم البرمائى عليها لتدميرها تماما واحتلال رؤوس كبارى تتدفق منها مدرعات الحلفاء لكى تتوغل فى الأراضى الفرنسية» .

وقَدَّمَ روميل توصياته لتنظيم الدفاع الألمانى عن جنوب فرنسا بقوله : «يجب ألا نتوقع بأى حال من الأحوال قدرة الاحتياطى الاستراتيجى الموجود فى باريس وفى وسط فرنسا على التحرك بسرعة للوصول إلى جنوب فرنسا انتظارا لوضوح مركز الهجوم الرئيسى وهو الرأى السائد فى القيادة العليا الألمانية وفى قيادة

«قوات أمريكية أمام الشانز لزيه بعد تحرير باريس من الاحتلال الألمانى الذى دام أربع سنوات»

الفيلد مارشال رونشدت القائد العام للقوات الألمانية فى فرنسا» كان روميل يدرك قلة عدد المدافع ذاتية الحركة وقلة الدبابات الألمانية بالنسبة لزيادة الدبابات البريطانية والأمريكية التى ستقوم بغزو فرنسا ، كما كان يعرف مدى التدمير الذى سيحدثه طيران الحلفاء بالنسبة إلى القوات الألمانية فى حالة تحركها من وسط فرنسا إلى سواحل فرنسا الجنوبية ، ولذلك أوصى روميل بتجميع كل المدافع ذاتية الحركة وكل الدبابات الألمانية وتحريكها لتكون بالقرب من سواحل فرنسا الجنوبية بحيث لا يتم ذلك أثناء هجوم قوات الحلفاء على هذه السواحل. ومما يؤسف له أن القيادة العليا الألمانية لم تأخذ بتوصية روميل هذه واحتفظت بالاحتياطى الاستراتيجى كله فى وسط فرنسا مما جعله عرضة لتدمير السلاح الجوى للحلفاء وهو الاعتبار الذى أدى إلى سهولة نجاح هجوم الحلفاء على سواحل فرنسا الجنوبية عند نورماندى . وكانت وجهة نظر روميل صحيحة كل الصحة فى هذا الصدد إذ أن فرصة الألمان لصد الهجوم إنما كانت تنحصر فى ضرب العدو بشدة أثناء عملية الإنزال من البحر حيث يكون العدو فى أضعف حالاته . وقد ختم روميل تقريره إلى هتلر بقوله : «وبناء عليه ، فأنا أعتقد أنه يجب علينا القيام بمحاولة لصد أى إنزال للعدو فى جنوب فرنسا بكل وسيلة ممكنة ومحاولة خوض المعركة الرئيسية على الشريط الساحلى نفسه . وهذا يتطلب إنشاء منطقة محصنة وملغمة بكثافة وقوة تمتد من الشاطئ إلى الداخل بعمق خمسة أو ستة أميال وبحيث تتوافر لها الدفاعات القوية للسيطرة التامة على مياه البحر والسيطرة التامة على الأرض . ولابد أن تكون التشكيلات القتالية الألمانية موجودة بالفعل على السواحل الجنوبية لفرنسا ، وإذا اتضح عدم الحاجة إلى أى تشكيل منها

يكون من السهل تحريكه إلى الموقع المطلوب بسهولة ، أما إحضاره من مسافة بعيدة داخل فرنسا فمن شأنه إضعاف الدفاع عن الساحل الفرنسى وتعريض التشكيلات القتالية الألمانية للتدمير قبل الوصول إلى أرض المعركة الساحلية .

وإذا كانت القيادة العليا الألمانية لم تأخذ برأى روميل بشأن المكان المناسب للاحتياطى الاستراتيجى الألمانى فلقد أطلقت يده فى بناء حقول الألغام على الساحل الفرنسى وتحت مياه البحر المتاخمة لهذا الساحل فقام روميل بالإشراف الفعلى على وضع حقول الألغام والزوايا الحديدية فى عمق الماء وكذلك أهرامات من الأسمنت المسلح مع وضع الموانع المضادة للدبابات على الساحل الفرنسى مما جعل الحلفاء يطلقون على هذه العوائق تسمية «خوازيق روميل» .

ولقد أسهب روميل فى وضع اقتراحاته بشأن صد هجوم الحلفاء على جنوب فرنسا ، وفى يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٤٣ وصل فعلا إلى فرنسا وأقام فى قصر «فونتنبلو» الذى كانت تمتلكه مدام «بومبادور» .

وكان روميل من واقع خبراته القتالية الفعلية فى شمال إفريقيا يعرف جيدا متطلبات الحرب فى هذه المرحلة المهمة من مراحل الحرب العالمية الثانية وأتيح له فهم عميق لفن حشد أقصى قوة ممكنة فى كل مناسبة حربية حاسمة بحيث تكون موجودة فى المكان المناسب والوقت المناسب . ولذلك طلب روميل إرسال ست أو ثمانى فرق بانزر مدرعة لتدعيم الدفاع عن فرنسا وقد أهملت القيادة العليا الألمانية هذا المطلب أيضا . وكان الجنرال «فون شوبنبيرج» قائد المدرعات الألمانية فى فرنسا مصرا كل الإصرار على أن يترك الألمان الحلفاء لكى ينزلوا على أرض فرنسا ليتوغلوا فيها ثم تدمرهم المدرعات الألمانية . وعندما نزلت قوات الحلفاء على أرض فرنسا لم تستطع المدرعات الألمانية أن تدمر قوات الحلفاء بالضبط كما توقع الفيلد مارشال إروين روميل .

ولقد توقع روميل أن يكون هجوم الحلفاء الرئيسى موجها إلى منطقة نورماندى ، وهو ما حدث بالفعل . وفى أول يونيو ١٩٤٣ عقد روميل اجتماعا مع الفيلد مارشال «فون رونشتدت» القائد الأعلى للجيوش الألمانية فى فرنسا واتفقا على أن يقابل روميل هتلر ليقدم إليه مطالب الجيوش الألمانية فى فرنسا

من الأسلحة والذخيرة وكل متطلبات الحرب المنتظرة ضد الحلفاء على أرض فرنسا . وفى صباح يوم ٥ يونيو ١٩٤٤ ، غادر روميل مقر قيادته بالسيارة للقيام بهذه الرحلة إلى ألمانيا وكان ذلك هو نفس يوم هجوم الحلفاء على نورماندى .

ومن الغريب – وهو ما يدل على مرونة تفكير روميل التكتيكى – أن روميل قد أوصى أثناء اجتماع له مع هتلر والفيلد مارشال فون رونشتدت ، بعد نجاح الحلفاء فى النزول إلى الساحل الفرنسى وذلك فى يوم ٢٩ يونيه ١٩٤٤ بعدم شن هجوم مضاد ضد قوات الحلفاء بل أوصى بالانسحاب أمامهم إلى مواقع دفاعية مناسبة ثم يتم شن هجمات من الأجناب ومن الخلف لتحطيم تشكيلات الحلفاء المسلحة مع المطالبة بزيادة نشاط سلاح الجو الألمانى للحد من سيطرة طائرات الحلفاء على سماء المعركة مع الاهتمام بإنشاء أوكار ومواقع حصينة للمدفعية المضادة للطائرات الألمانية على طرق المواصلات فى جبهات القتال . وطالب روميل بتوفير ألف طائرة حربية للعمل على الجبهة الفرنسية ، ولكن قدرة الحلفاء على إنتاج الأسلحة المختلفة كانت تفوق قدرة الألمان إلى حد كبير مما حسم نتائج الحرب لصالح الحلفاء على نحو مطرد فى هذه المرحلة من مراحل الحرب العالمية الثانية . وعندما اتضحت هذه الحقيقة كانت لدى روميل الجرأة لكى يسأل هتلر : «كيف تتخيل أن الحرب بعد كل هذا يمكن لنا أن نكسبها ؟» وابتلع هتلر كل الإهانة الكامنة فى هذا السؤال الحاسم فى دلالته .

وبعد هذا الاجتماع مباشرة توقع كل من الفيلد مارشال فون رونشتدت والفيلد مارشال إروين روميل أن يعفيهما هتلر من قيادة الجيوش الألمانية فى فرنسا ولكن هتلر أعفى الجنرال فون رونشتدت من القيادة العليا للجيوش الألمانية فى فرنسا وعيّن بدلا منه الجنرال «فون كلوجه» ولم يتم إعفاء روميل من قيادة مجموعة الجيوش «ب» فى فرنسا .

ويبدو أن هتلر وجودل وكيتل قد حذروا فون كلوجه من عناد روميل ، ولذلك كان أول تصرف له هو القيام بزيارة إلى مقر قيادة روميل وقام بتوبيخ روميل ولومه لسوء نتائج القتال ضد الحلفاء . وبمجرد انتهاء الزيارة كتب روميل إلى فون كلوجه الرسالة التالية :

من رئاسة مجموعة الجيوش «ب» فى ٥ يوليو ١٩٤٤ إلى القائد العام للجبهة الغربية – السيد الفيلد مارشال فون كلوجه .

«مرفق بهذا لسيادتكم تعليقاتى على الأحداث العسكرية فى نورماندى حتى تاريخه . ونفيد سيادتكم أن اللوم الذى وجهتموه إلى شخصى المتواضع فى بداية زيارتكم لمقر قيادتى فى حضور رئيس أركان حرب ورئيس عملياتى على أساس أنه «يجب أن أبدأ التعود على تنفيذ الأوامر» قد جرحنى جرحا بليغا . وأنا أطلب منكم أن تفسروا لى سبب هذا الاتهام» .

الفيلد مارشال

روميل

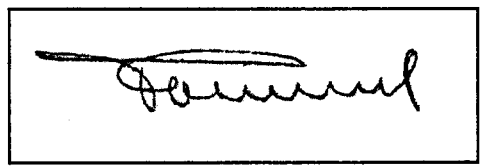

«توقيع روميل»

وأرفق روميل بمذكرته هذه تقريرا وافيا يتضح منه التفوق الساحق للإمكانات العسكرية للحلفاء فى مقابل القصور الشديد فى الإمكانات العسكرية للألمان . وأشار روميل فى تقريره ذاك إلى إهمال القيادة العليا الألمانية لأرائه ونصائحه وتوجيهاته ومطالبه بشأن الدفاع عن فرنسا ضد هجوم الحلفاء قبل بدء ذلك الهجوم . وقد حدد الفيلد مارشال إروين روميل أربعة عشر سببا لتفوق قوات الحلفاء وضعف موقف قوات الألمان فى فرنسا وكلها أسباب على المستوى اللوجستيكى الذى يعتبر المسئولية المباشرة الأولى للقيادة العليا الألمانية وليست على المستوى التكتيكى الذى يعتبر مسئولية القيادة الميدانية الفعلية فى أرض المعركة ومفاد هذا التقرير فى النهاية هو أن التقصير فى الأداء العسكرى الألمانى فى الحرب على الجبهة الفرنسية يرجع إلى هتلر والقيادة العليا المتمثلة فى شخص القائد الأعلى للجيوش الألمانية فى فرنسا المارشال فون كلوجه شخصيا ، ومؤداه فى النهاية هو : «إذا كنت يا سيادة الفيلد مارشال فون كلوجه

تريد نصراً ألمانيًا فمن الواجب عليك توفير مطالب النصر للجنود الألمان لكى ينتصروا . وإذا لم تحقق مطالب النصر فأنت الذى تستحق اللوم» .

إلى هذا الحد وصل التراشق بالاتهام بين القادة الألمان بينما كان الجنود والضباط الألمان يسحقهم الموت فى ظروف قتال ضار ضد الحلفاء لا أمل فيه لأى انتصار ألمانى ! ومن هنا أيضا برزت ضرورة التخلص من قيادة الفوهرر أدولف هتلر لألمانيا باعتبار أن التخلص من هتلر هو السبيل الوحيد للتفاهم مع الحلفاء لإنهاء الحرب بشروط معقولة .

وفى يوم ٢٥ يوليو ١٩٤٤ كان الفيلد مارشال إروين روميل يرقد فى سريره فى إحدى المستشفيات العسكرية فى فرنسا بعد أن أصيبت عربته أثناء تحركها على أحد الطرق فى فرنسا أثناء غارة جوية للحلفاء على فرنسا . وتم نقله بعد عدة أسابيع عندما تماثل إلى الشفاء ليستكمل علاجه فى ألمانيا . وكان هتلر قد قرر اغتيال روميل لوجود دور له فى خطة للانقلاب ضد هتلر إذ كان المشتركون فى إعداد هذه الخطة يعتبرون أن الفيلد مارشال إروين روميل هو البديل المعقول الوحيد للفوهرر دون أن يدرى روميل عن هذا الترشيح شيئا . وبالرغم من ذلك كتب هتلر إلى روميل برقية وصلت إليه بالمستشفى يقول له فيها : «أرجو يا سيدى الفيلد مارشال أن تقبل تمنياتى لكم بالشفاء العاجل» . ويبدو أن اغتيال روميل كان هو المقصود بالشفاء العاجل .